Social differentiation references A review of Bourdieu and Bateson's thought

PHD student: Ali Khader Jassim Muhammad

ali.khodair1101a@coart.uobaghdad.edu.iq

Prof. Dr. Hussein Fadel Salman

hussein.abd@coart.uobaghad.edu.iq

University of Baghdad/College of Arts/Department of Sociology

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v3i143.3933

Abstract:

The social form is based on a group of small worlds “a group of fields as seen by Bourdieu”, and that each field has its own distinctiveness or interests, and that this specificity, even if it means non-interference or relative independence, it refers to the state of differentiation “social differentiation” whether it is two groups with different cultures. Pattison also sees "the mother of groups belonging to one culture, as the relationship systems of individuals or the group, have a tendency of gradual differentiation "complementary schism". And that the members of each group create sites, and these sites are connected to each other intertwined, and these sites draw for individuals the boundaries that allow them to have a scientific and physical knowledge of the status, so they are able to control their experiences and then their position and make them more respectful to others. It also allows them to produce multiple ways of knowing the social world, in which they exist as a social space, that differ according to the type or specificity of the domain governed by a perceptual and intellectual system. Individuals seek to support their identity, which is represented by preserving everything that makes the group or individual his habitus, and the latter works to distinguish them or to show the state of difference within the sites within the conditions of social existence.

Keywords: social differentiation / social space / schism / habitus

مرجعيات التمايز الاجتماعي: مراجعة في فكري بورديو و باتيسون

الباحث: علي خضر جاسم محمد
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم علم الاجتماع

أ.د. حسين فاضل سلمان
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم علم الاجتماع

(مُلَخَّصُ البَحث)

إنّ الشكل الاجتماعي قائم على مجموعة عوالم صغيرة "مجموعة مجالات كما يرى بورديو"، وأنّ لكل مجال ميزه أو رهانات الفاعلين الخاصّة، وأنّ هذه الخصوصية وإن عنت عدم التداخل أو الاستقلالية النسبية، فإنّها تشير إلى حالة التمايز "التمايز الاجتماعي" سواء أكانت جماعتين مختلفتين في الثقافة "كما يرى باتيسون" أم جماعات تنتمي لثقافة واحدة، إذ إنّ نظم العلاقة للأفراد أو للجماعة، لديها ميل التمايز التدريجي "الانشقاق التكميلي". وأنّ أفراد كل جماعة يُوجدون مواقع، وهذه المواقع تتصل ببعضها متشابكة، وهذه المواقع ترسم للأفراد حدودًا تتيح لهم معرفة علمية وجسدية بالمكانة، فيصبحوا قادرين على التحكم بخبراتهم ومن ثم مكانتهم وجعلها أكثر اعتبارًا للغير. ويسمح لهم كذلك بإنتاج طرائق متعددة لمعرفة العالم الاجتماعي، الذي يتواجدون فيه كفضاء اجتماعي، تختلف باختلاف نوع أو خصوصية المجال المحكوم بمنظومة إدراكية وفكرية. والأفراد يسعون لتأكيد هويتهم التي تتمثل بالمحافظة على كل ما يجعل الجماعة أو الفرد له هابيتوس، وهذا الأخير يعمل على تمييزهم أو إظهار حالة الاختلاف ضمن المواقع داخل الوجود الاجتماعي.

كلمات مفتاحية: التمايز الاجتماعي/ المرجعيات/ الانشقاق / الهابيتوس

المقدمة

لقد شغلت العضويةُ الاجتماعية الدارسين كثيرًا؛ إذ تُمثّل مطالب الجماعة لأفرادها بمختلف تنوعاتها السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، لتعزيز تلك العضوية، وإيجاد حلقات وصل مع الجماعات أو المجتمعات الأخرى. فسلوك أفراد المجتمع أو الجماعة محكوم بضوابط وقيود ملزمة لهم، لديمومة التفاعل والاندماج الداخلي المتحرك بين المكانة والأدوار الاجتماعية، مما يجعل الأفراد يميلون إلى الزيادة، والتي قد تصل حدّ التطرف للحفاظ على الخصوصية الثقافية وتأطيرها بحدود ثقافية تمثّل الاختلاف عن الآخر، وتتمظهر مرة أخرى تمايزات اجتماعية ذات مرجعيات تعتمد سياقها الثقافي والاجتماعي.

وهنا نستعرض بعض أفكار كل من بورديو و باتيسون، التي تناولت التمايز الاجتماعي بوصفه سلوكًا إنسانيًا لا يرتبط بالأشخاص فحسب، بل ومرجعياته الاجتماعية والثقافية التي تعمل على تأصيله بما ينسجم والمنظومة الثقافية للمجتمع أو الجماعة. فلا يخلو مجتمع أو جماعة منه، مع الأخذ بالحسبان نسبيّته التي تختلف من مجتمع لآخر أو جماعة لأخرى، وبوصفه ممارسة ثقافية، فهي تعمل على رسم حدودها للمجتمع أو الجماعة. فالأفراد يسعون لتأكيد هويتهم التي تتمثل بالمحافظة على كل ما يجعل الجماعة أو المجتمع متمايزًا؛ ليحيل إلى هابيتوس لها – أسلوب الحياة – ، وكذلك إعادة إنتاج الممارسات السلوكية والأفكار والتصورات الذهنية أو العمليات الإدراكية لأفراد مجتمع، وكذلك تقويم السلوك ورفضه أو قبوله، من خلال تحديد المعايير والقيم مرة للمجتمع ككل، وأخرى للجماعات.

المبحث الأول: الموضوع والأهمية والأهداف والمفهومات:

أولاً: الموضوع، الأهمية، الأهداف:

لا ريب أنّ لكل مجتمع طرائقه وأنماطه التي يسعى أفراده من خلالها الحصول على مكانتهم الاجتماعية ومعرفة أدوارهم داخل مجتمعهم، ذي العلاقات الإنسانية المحكومة بمنظومته الثقافية، مأخوذًا بالاعتبار كل الاختلافات، ولاسيما اختلاف الجنس واللون والرس والبيئات الاجتماعية والثقافية التي ينتمون إليها، مما ينتج تداخلاً فكريًا وسلوكيًا، ليكون نمطًا يُمرر أثناء التنشئة الثقافية، سواء أكانت فردية أم جماعية، فيُحيل التمايزات الاجتماعية فيما بينهم، التي تختلف باختلاف الظروف الاجتماعية والثقافية وبناء الأدوار والمكانة الاجتماعية وِفقَ المعايير والقيم في الوحدة الاجتماعية الواحدة أو المحددة، والمحكومة بالأسباب والوسائل المؤسسة له، كما هو الحال في انعكاسات النسق الاقتصادي الذي يكون متنوعًا ومختلفًا مهنيًا، وكذلك الأنشطة الأخرى في النسق السياسي أو الديني أو الأنشطة الترفيهية، والتدرج الطبقي أو الاجتماعي، والأشكال الفنيّة التي تزيد من التنوع والاختلاف ومن ثم التمايز ليتوسع فيشمل النظام الاجتماعي، فتكون أطرًا مرجعية تحدد ثقافة الأفراد داخلها، وهذا ما يجعل الدراسة تتمحور في موضوعها على فهم طبيعة التمايز الاجتماعي في منطقة الكريعات في محافظة بغداد؛ وذلك بالإجابة عن التساؤلات الآتية:

– ما التمايز الاجتماعي؟ وما هي مرجعياته، وما الظروف والعوامل التي يتركّب أو يتكوّن من خلالها التمايز الاجتماعي داخل البنية الاجتماعية؟

– هل التنوع والاختلاف في الأدوار والمكانة يتيح فرصًا مختلفة للأفراد في تكامل الحياة وجماليتها؟ أو هل التمايز الاجتماعي يُعدُّ سلوكًا جاذبًا يجعل من الاندماج السمة المبرزة فيها التي تحدد الخصوصية للتمايز، وتفسح المجال لتندمج فيه الثقافات المختلفة؟ أو هو سلوك تباعدٍ بين أفراد الجماعات الاجتماعية؟

– كيف للممارسات التفاعلية اليومية في أنماط الخطابات الاجتماعية اللغوية بين الجماعتين أن تُحدثَ تمايزًا اجتماعيًا؟

فأهميّة دراسة مرجعيات التمايز الاجتماعي، وهي سعي الباحث أكاديميًّا لتسليط الضوء على موضوعٍ لم يتم بحثه ودراسته أنثروبولوجيًّا باستفاضة موسعة عبر دراسات حقلية مباشرة؛ مِمَّا يسهم في تراكم المعرفة ولا سيَّما في حقل الأنثروبولوجيا الثقافية، وكذلك محاولة الكشف والتعريف على ثقافة مجتمع الدراسة(منطقة الكريعات) وبيان طبيعة سير العلاقات الاجتماعية القائمة على التمايزات الاجتماعية من طريق تطبيق التوجهات النظرية والمنهجية والمعارف والمقاربات الأنثروبولوجية، مضافً للتصدي لقضايا المجتمع ومعالجتها، والبحث عن دور وتوجيه المسارات السلوكية في الحياة اليومية. ولاسيما وأنّ دراسة التمايز الاجتماعي على مستوى البحث المحلي لم تكن غنية بما ينسجم وطبيعة المجتمع العراقي وظهور تمايزاته الاجتماعية.

وأمّا أهداف البحث فهي محاولة الإجابة عن التساؤلات التي وردت في موضوعها معتمدة على أطرها النظرية، لفهم التمايز الاجتماعي، ومعرفة مرجعياته التي يرتكن إليها في أنماطه السلوكية، وعليه يهدف البحث محاولة:

– معرفة العوامل التي يتشكل من خلالها التمايز الاجتماعي داخل البنية الاجتماعية.

– تحديد الأنماط الثقافية الراسمة للحدود الثقافية وعلاقة المرجعيات الثقافية بذلك.

– فهم طبيعة الممارسات الاقتصادية ذات الطابع المتمايز.

– التوقف على التمايز في عمليات التبادل الاقتصادي، ومرجعياته الثقافية بين الأقارب ومَنْ عداهم داخل محل الدراسة.

ثانيًا: المفهومات

١– التمايز الاجتماعي (Social Differentiation): يذكر أهل اللغة التمايز بأنَّه من الفعل ميز: "مازه يميزه ميزًا: عزله، وفرزه، كأمازه وميّزه فامتاز وانماز وتميّز واستماز، والشيء: فضّل بعضه على بعض" (الفيروز آبادي، ٢٠٠٨، صفحة ١٥٦٧). وفي معجم متن اللغة فإنّ التمايز "تمايزوا: تفرقوا وتيمّز بعضهم من بعض. والتمايز: التحزّب والتنافس" (زكريا، ١٩٧٩، صفحة ٣٦٧). وتمايز الجماعة: تفرقها، تخاصمها. وبينهما تمايز في الطبع والسلوك: اختلاف تبيان تغاير. وتمايز في العمل التمييز والاختلاف فيه" (أبو العزم، ب، ت، صفحة ١٦٢٣).

إنّ مفهوم التمايز الاجتماعي من المفهومات التي اشتغل عليها الأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع؛ إذ يشكّل محورًا أساسيًا في المجال الاجتماعي والثقافي على حدٍ سواء، ففي الاصطلاح، قد عُرّف بأنّه: "الطريقة الاجتماعية التي يحصل بواسطتها الأفراد والجماعات

على أدوار اجتماعية خاصة ومحددة، وما ينتج عن ذلك من مكانات. أو هو عملية تطور الأدوار والمراكز والطبقات والجماعات المختلفة واستمرارها في المجتمع. ويؤدي التمايز إلى أدوار مختلفة يقوم بها الأشخاص ذوي الأعمار المختلفة والمهارات والدخل والتأثير المتباين" (الصالح، ١٩٩٩، صفحة ٤٩٩). إنّ اختلاف الدور والمكانة يجعل التمايز حالةَ تبيانٍ؛ إذ يتأسس فعل التمييز على بناء علاقات إنسانية، بالنظر إلى الاختلافات القائمة بين الأفراد والجماعات، ويكون التمييز – في الغالب– مستندًا إلى اختلافات في الجنس أو اللون أو المواقع المراتبية والاجتماعية، فضلاً عن معطيات أخرى، لها علاقة بالجسد والصحة والمهارات العقلية والنفسية" (سبيلا و الهرموزي، ٢٠١٧، صفحة ١٦٧). فهو عملية تتطور عن طريق المراكز والأدوار والطبقات والجماعات المختلفة، وتستمر في وجودها في المجتمع (عاطف، ٢٠٠٦، صفحة ٣٨٨).

٢- المرجعيات (Reference) يُعدُّ مصطلح المرجع من المصطلحات التي لاقت رواجًا في مجالات عدّة، فمن الناحية اللغوية أنّ المرجع له دلالات؛ إذ لم يكن ذو صورة دلالية واحدة، منها، هي الرجع من الفعل رجع، رَجعًا ومرجِعًا إليه: صرفه وردّه (رضا، ١٩٥٨، صفحة ٥٥٢). ويقاربه بما ورد في معجم مقاييس اللغة، أنّه: رجع يرجع: رجعًا ورجوعًا ومرجعًا ومرجعة ورجعى ورجعانًا، أي انصرف، عاده، ردّه. أو تقول يرجع رجوعًا إذا عاد (زكريا، ١٩٧٩، صفحة ٤٩٠). ولعل مفهوم الجماعة المرجعية ترجع جذوره لهايمان حين حديثه عن سيكولوجية المكانة الاجتماعية، وتُعدّ أحد أهم المرجعيات، وكان يُقصد منها الجماعة التي يُنْسِب إليها الفرد سلوكَه الاجتماعي ويقيمه في إطار معاييرها وقيمها واتجاهاتها وأنماط سلوكها المختلفة. وأنّ الجماعة المرجعية قد تتطور أنواعها تبعًا لتطور مراحل نمو الفرد... ويختلف تأثير الجماعة المرجعية تبعًا لأهميّة كل جماعة من تلك الجماعات، وتختلف تلك الأهميّة تبعًا لمدى انتماء الفرد للجماعة، فالأسرة ذات التأثير الكبير، ومن ثم يقل تأثيرها إلى حد ما تبعًا لاتساع دائرة التفاعل الاجتماعيّ، وتبعًا لمدى انتمائه للجماعات الأخرى، مثل جماعة المدرسة أو جماعة النظائر والمهنة وغيرها، فلكل منها تأثير في تكوين سلوك الفرد الاجتماعي (محمد، ٢٠١٣، صفحة ١١٨).

المبحث الثاني: التوزيعات في الفضاء الاجتماعي

إنّ الفضاء الاجتماعي الذي صاغه بورديو لا يملك حقيقة في ذاته، بوصفه توزيعات في فضاء، أي مجموع واسع لاستعدادات مرتبة من خلال الحقول وأنواع الرأسمال الذين يقيّمون، فلكل موقع خاصيته التي توجد تبعًا للعلاقات والحفاظ عليها نظرًا لمواقع أخرى، فالفضاء الاجتماعي محدد بالإقصاء المتبادل، أو تميّز المواقع التي تكوّنه، أي مثل بنية لتجاوز المواقع الاجتماعية المحددة من تلقاء نفسها، كمواقع داخل بنية توزيع مختلفة أنواع

الرأسمال. فلكل موقع يطابق ويحدد "مجموع خصائص الرأسمال والقدرات العلمية (الهابيتوس) وذلك من قبل مكانه داخل بنية متصلة بالشبكة، فهو مكان ثابت نسبيًا لتعايش وجهات النظر، وللمعنى المزدوج للمواقع داخل بنية توزيع الرأسمال (الاقتصادي، الإعلامي، والاجتماعي)" (شوفاليه و شوفير، ٢٠١٣، الصفحات ٢٢٨-٢٢٩).

يحدد بورديو الفضاء الاجتماعي حينما قارنه بالفضاء الجغرافي أقاليمه ذي أقاليم مقسّمة.. لكن الفضاء الاجتماعي مبني إذ إنّ الفاعلين والمجموعات أو المؤسسات التي تجد مواقعها فيه تكون الخصائص المشتركة فيما بينها أكثر، كلما زاد قربها من بعضها في هذا الفضاء. فلكل مجال في الفضاء الاجتماعي له مجموعة من العلاقات بما يحيط به من مجالات أخرى، بعضها يحكمه التجانس، وأحيانًا يكون للمجال سطوة على محيطه، من جراء تحصنه بسور منيع. كما أنّ المجتمع لاريب يتكوّن من قطاعات اجتماعية ذات مستويات مختلفة في استقلالها بدرجة ما، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، وأنّ لكل وسط اجتماعي منطقه الخاصة وهو ما يجعل "الفضاء الاجتماعي يتشكل من جملة حقول تتصل فيما بينها بقدر ما تستقل عن بعضها بعضًا، كالاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة، والحقل الثقافي ينقسم بدوره إلى عدة حقول، كالحقل الأدبي أو الفني أو العلمي أو الفلسفي أو الديني" (حرب، ٢٠٠١، صفحة ٣٠). فالحقل أو المجال[*1] تشكّله مجموعة عناصر متشابكة يُعبّر عنها مواقع مثل المصالح والاستراتيجيات أو السلطات، أو المواقف وغيرها، وهذه العناصر تدخل بتركيبه "الحقل" بالطريقة التي تجعل منه وبينه تفاضل وتمايز، تعمل

[1]*- يقسّم بورديو البناء الاجتماعي "الفضاء الاجتماعي" إلى مجموعة مجالات أو حقول، بطريقة التجزئة التي تجعل الفضاء الاجتماعي أو العالم الاجتماعي عبارة عن عوالم صغيرة، وأنّ لكل حقل أو مجال من هذه المجالات يحوي رهانات ومواضع ومصالح، كالحقل الأدبي، والعلمي، والقانوني، والديني، وغيرها، وأنّ هذه المجالات أو الحقول مستقلة نسبيًا، إذ لكل منها قواعده الخاصة، ولا تخضع لتبعية غيرها من المجالات الاجتماعية الأخرى، وهي في ذات الوقت لها سيرورة تمايز، وأنّ هذا التمايز يسمح للعالَم الاجتماعي أن ينتج طرق معرفته، وأنّ الفاعلين في تلك الحقول أو المجالات يعملون كما يسميهم بورديو "حقل القوة" إذ تتوقف ميزاتهم على موقعهم في هذه الفضاءات، حيث توافق بنية الحقل حالة صلة عنف بين الفاعلين أو المؤسسات المشاركة في الصراع، من أجل الموقع المسيطر في الحقل، أي أنّه يتعلق بملكية احتكار السيطرة بوصفها تمنح سلطة بواسطة العنف الشرعي الخاص بالحقل، وأنّ الفاعلين هم من تجعلهم مواقعهم موجودين اجتماعيًا في حقل ما. ينظر: (شوفاليه و شوفير، ٢٠١٣، الصفحات ١٤٧-١٤٨). وأنّ اختلاف المجالات فيما بينها، لوجود تلك الخصوصية من حيث القانون الخاص بها أو المختلف عن غيره من المجالات في ذلك الفضاء الاجتماعي، وأنّ الصراع بين الفاعلين على سبيل المثال داخل المجال السياسي، ليس هو ذات الصراع بين الفاعلين في المجال الديني، وأنّ الأدوار والمراكز داخل كل مجال تحتاج إلى رأس المال الذي ينسجم مع طبيعة المجال، وكذلك في الهابيتوس الخاص بهم كمتصارعين على تلك المراكز أو المناصب. وبعبارة أخرى أنّ كل فئة من فئات المصالح داخل المجال لا تهتم بالمصالح الأخرى بقدر اهتمامها بما تفرضه المصلحة في هذا المجال. ينظر: (**Bourdieu, Pierre, 1993, p. 72**) فالمجال هو حالة لعلاقة القوة بين العناصر الفاعلة أو المؤسسات المشتبكة في الصراع... أو هي حالة لتوزيع رأس المال النوعي الذي تراكم في مجرى الصراعات السابقة وأصبح يوجه الاستراتيجيات التالية، التي تُنشئ بنية. ينظر: (بورديو، بيار، ١٩٩٥، صفحة ١٣٢).

بحسب مبدأ توزيع أدوار ومكانة السلطة وأنواع رأس المال الفاعلة في الفضاء الاجتماعي، والتي تتبدل وتتغير بتبدل الظروف المكانية والزمانية.

فالمواقف الجمالية الموضوعية والذاتية المعتمدة في أمور مثل مستحضرات التجميل أو الملابس أو تزيين المنزل، هي فرص لتجربة أو تأكيد مكانة المرء في الفضاء الاجتماعي، كرتبة يجب الحفاظ عليها، أو مسافة يجب بقاؤها (**Bourdieu, Pierre, 1996, p. 57**). أي أنّ الفضاء الاجتماعي يمكن النظر إليه على أنّه مجموعة المواقع في شبكات متمايزة؛ لكنه يسمح له بالحصول على موضع داخل الفضاء الاجتماعي، بالفعل وبرد الفعل داخله، هو واحد من العناصر الموجهة للتقدم داخل فضاء التوزيع أو الاختلافات الذي هو الوجود أو العالم الاجتماعي.

إنّ كل فاعل يملك معرفة علمية وجسدية عن موقعه داخل الفضاء الاجتماعي، ومعنى لمكانته الموجودة بالفعل أو بالقوة، فيهتدي في اتجاه نحو التشغيل الذي يتحكم في خبرته حول المكانة التي يشغلها والمحددة قطعًا، وبالأخص علائقيًا، كرتبة، ثم السلوك الذي ينبغي الحفاظ عليه لإبقاء هذه الرتبة واعتبارها. فهذه المعرفة العلمية التي توجه التدخلات في النزاعات الرمزية للوجود اليومي الذي يسهم في بناء العالم الاجتماعي، بطريقة أقل وضوحًا، ولكنها فعّالة (شوفاليه و شوفير، ٢٠١٣، صفحة ٢١٣).

ففي العالم الاجتماعي نفسه، وليس في الأنساق الرمزية وحسب، يرى بورديو أنَّ هناك "بنيات موضوعية مستقلة عن وعي ورغبات الفاعلين، قادرة على توجيه أو تقييد ممارساتهم أو تمثيلاتهم. أي أنّ هناك توليدًا اجتماعيًا لمنظومات الإدراك، والفكر والفعل التي تؤسس ما أسميه الهبيتوس من جهة، ومن جهة أخرى للبنيات الاجتماعية، وخصوصًا لما أسمّيه المجالات أو الحقول والمجموعات" (بورديو، ٢٠٠٢، صفحة ٢٠٥). فنسق التكوينات الإدراكية المكتسبة عبر التجربة الفردية والجماعية وخوض التنشئة الثقافية وما يحيط بهم من أوضاع اجتماعية، تعمل على توجيه سلوكيات الجماعات أو الفرد، ارتكازًا على المرجعيات وما تختزنه البنية الذهنية المُفَعِّلة للسلوك والأفعال، سواء أكانت فردية أم جماعية. وفي ذات الوقت حاكمة لنسق الممارسات والفعاليات. وإن كان بورديو يؤيد فكرة أنّ الحياة الاجتماعية يجب تفسيرها ليس بواسطة إدراك أولئك الذين يشاركون فيها، بل بواسطة الأسباب العميقة التي تقع خارج الوعي... حيث الوجود الاجتماعي باعتباره منظومة من العلاقات غير المرئية، هي تلك العلاقات نفسها التي تؤسس فضاءً خارجيًا لها، تتحدد من خلالها القرب أو التجاور أو المسافات عن بعضها بعضًا. وهذا ما يراه باتيسون بأنّ العلاقة بين شخصين قابلة للتغيير من وقت لآخر، حتى من دون تأثير العوامل الخارجية؛ لأنّ العلاقة بين الأفراد تحمل في طيّاتها ردود أفعال الأفراد تجاه أفعال الآخرين. فضلاً عن تأثر الأفعال بسلوك

الآخر، أو ما يمكن تسميتها بالعملية الانعكاسية، حيث إنّ ردود الأفعال يمكن أن تؤخذ نظرًا لسلوك ذلك الآخر، "فليس النظر فقط على ردود فعل (أ) على سلوك (ب)، ولكن يجب النظر في كيفية تأثيرها على سلوك (ب) في وقت لاحق ومن ثم يعود تأثيره على(أ).

وقد وسّع باتيسون الدائرة ليشمل بها الجماعات كذلك، سواء أكانت جماعتين مختلفتين في الثقافة أم جماعات تنتمي لثقافة واحدة، إذ يرى أنّ كثيرًا من نظم العلاقة، سواء بين أفراد أم مجموعات من الأفراد، لديها ميل للتغيير أو التمايز التدريجي. وهذا النوع من التمايز التدريجي يصنف ضمن الانشقاق التكميلي. وقد عنى بالانشقاق "عملية تمايز في معايير السلوك الفردي الناتجة عن التفاعل التراكمي بين الأفراد **(Gredory, 1936, p. 175)**،

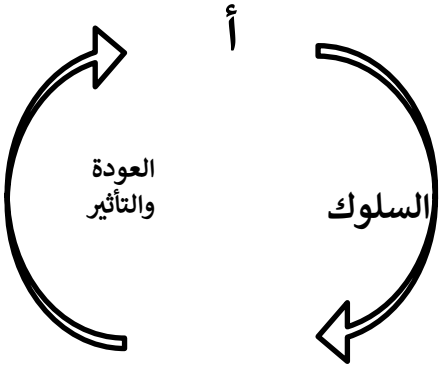

فيشمل حينئذ الانشقاق بشقيه المتناظر والتكاملي أو التكميلي.

ففي الانشقاق التكميلي يضع باتيسون نموذج حالة التفاخر والتنافس، وأنّ عملية التفاعل من خلال الاتصال الثقافي، قد تؤدي عملية التمايز التدريجي في صورتها التكميلية إلى انهيار النظام برمته، ما لم تكون عوامل زاجرة أو كابحة لها، كما في أحد أنماط السلوك الثقافي، الذي يُعدّ نمطًا ثقافيًا حازمًا بالنسبة لـ (أ)، بينما قد يدعي (باء) بأنّه نمط خضوع، فمن المرجح أن يشجع هذا الخضوع إلى دافع أكبر، وأن هذا الدافع يطالب بالمزيد من الخضوع. وعليه ستكون حالة تصاعدية محتملة، ما لم تكن هناك عوامل أخرى تحدُّ من زيادة السلوك الحازم أو الخاضع. بالضرورة يصبح (أ) أكثر حزماً، في حين أن (باء) سيصبح أكثر خضوعاً. وهذا التغيرات التدريجية من هذا النوع تسمى انشقاقًا تكامليًا؛ إذ سيحدث سواء كان (ألف وباء) أفرادًا منفصلين أي من جماعتين مختلفتين أو أعضاء في مجموعات متكاملة أو مكملة بعضها بعضًا **(Gredory, 1936, p. 176)**. وقد وضع باتيسون مجموعتين من التقابلات أو التعارضات الثنائية وهي، السيطرة في مقابل الخضوع، والنزعة الإظهارية أو الاستعراضية في مقابل نزعة المشاهدة. وأنّ ثنائية التعارض السيطرة في مقابل الخضوع ترتبط ارتباطًا واضحًا بالأبوة (السيطرة) والطفولة (الخضوع)، بينما تكون

ثنائية التعارض النزعة الإظهارية أو الاستعراضية في مقابل نزعة المشاهدة متغايرة في الطريقة التي تطابق بها، أو تمثل السيطرة والخضوع (برنارد، ٢٠١٧، صفحة ٢٦٦) .

إمّا الانشقاق المتماثل فيرى باتيسون أنّ للأفراد أو الجماعات نمط من العلاقات، كما في حالة التباهي حينما يكون نمطًا ثقافيًا للسلوك في مجموعة ما، وأن المجموعة الأخرى ترد على ذلك التباهي بالتباهي. وقد يتطور موقف تنافسي (التباهي) ما، فيؤدي إلى المزيد من التباهي والتفاخر، وهذا النوع من التغيير التدريجي قد أطلق عليه الانشقاق المتماثل أو المتناظر (**Gredory, 1936, p. 176**). فالتناظر يحدث أو يظهر بشكل درامي في الطقوس كما يرى باتيسون في حالات التنافس التي تجرى بين المتسابقين أو المتدربين. وتنافس المتنافسون ضد بعضهم بعضًا يظهر حالة تسلطهم أو تنمرهم على مَنْ دونهم من المبتدئين الذين يسعون ليكون كغيرهم، فيدفع هذا التنافس للمزيد من الوحشية أو القسوة اتجاه المبتدئين. أو يكون فيها الأفراد في مجموعتين (أ) و(ب) لديهم نفس التطلعات ونفس الأنماط السلوكية؛ لكنهم مختلفون حين يكون السلوك داخل المجموعة، عن السلوك اتجاه المجموعة الأخرى.

ويمثل باتيسون لذلك بأعضاء أو أفراد (المجموعة أ) حين يظهرون أنماط السلوك (A، C،B) في تعاملاتهم مع بعضهم بعضًا باعتبارهم أعضاءً في مجموعة واحدة، في حين أنّهم يتبنون الأنماط (X، Y ،Z) في تعاملاتهم مع أعضاء المجموعة (ب) وبالمثل، فإنّ أفراد (المجموعة ب) تتبنى الأنماط (A، B ،C) فيما بينهم؛ وفي الوقت ذاته فهم يظهرون الأنماط (X، Y ،Z) في التعامل مع (المجموعة أ).

وعليه، فإنّ أنماط السلوك لكلا المجموعتين (X، Y ،Z) يُعدّ هو الرد القياسي على (X، Z،Y) للمجموعة الأخرى. مما يؤدي إلى تمايز تدريجي أو انشقاق على المنوال نفسه (**Gredory B. , 1972, p. 68**). وهذا ما يسمح استمرار المجموعتين المختلفتين في توازن ديناميكي،إذ من المحتمل أن تكون العوامل النشطة في التوازن الديناميكي متطابقة أو مماثلة لتلك التي في حالة عدم التوازن، وأنّ إمكانيات التمايز بين المجموعات تنقسم إلى فئتين كما يصفها باتيسون، بأنّ الأولى هي، الحالات التي تكون فيها العلاقة متماثلة بشكل رئيس، كما في تمايز الانقسامات، العشائر، القرى، ودول أوروبا. والثانية، الحالات التي تكون فيها العلاقة متكاملة، كما في تمايز الطبقات الاجتماعية، التصنيفات أو الفئات، الطوائف، الدرجات العمرية، وفي بعض الحالات، التمايز الثقافي بين الجنسين.

فإنّ كلا النوعين من التمايز يحتوي على عناصر ديناميكية، بحيث عندما يتم إزالة بعض العوامل التقييدية، فإن التمايز أو الانقسام بين المجموعات يزداد تدريجيا نحو، إما الانهيار أو التوازن الجديد (**Gredory B. , 1972, p. 76**). ويوضح باتيسون الفارق بين

الانشقاق وغيره كالابتداع أو البدعة. فالبدعة هي المصطلح المستخدم لتقسيم الطائفة دينيًا، إذ يكون فيها للمجموعة المتباينة مذاهب معادية لتلك الخاصة بالمجموعة الأم، في حين أن الانشقاق هو المصطلح المستخدم لتقسيم الطائفة، إذ يكون لمجموعتين نفس العقيدة، ولكن لهما سياسات منفصلة ومنافسة. على الرغم من ذلك ، فقد استخدمت مصطلح الانشقاق لكلا النوعين، أي الانشقاق التكميلي والانشقاق المتناظر أو المتماثل، إذ إنّ كلاهما يساهم بأي شيء في تشكيل المعايير الثقافية **(Gredory, 1936, p. 177)**. فمن المؤكد إلى حد معقول أنّ الانشقاق يلعب دورا هاما في تشكيل الأفراد. كما أنّ ردود فعل الأفراد على ردود فعل الأفراد الآخرين تُعدّ كتعريف للضبط الذي يحكم أفراد المجموعة الواحدة، أو المجموعتين المختلفتين.

إنّ الثقافة المشتركة تعطي للفاعلين حسًّا بالانتماء المشترك والتضامن في المجتمع، كما تعطي إحساسًا بالتماثل في الشعور والموروث والأصول، كما أنّها على النقيض من ذلك قد تقصي الآخر، أي تبعد غير المشترك في الموروث والأصل والعادات... فالأمة هي التي تسيطر عليها وتضمها وتستوعبها وتدمجها مع الحفاظ على التمايز الثقافي والاجتماعي خاصتها (البعلبكي، أحمد؛ وآخرون، ٢٠١٤، صفحة ٧٧٠). وهذا ما يجعل الجماعات الاجتماعية كالأنظمة العشائرية كما يرى باتيسون بأنّها تعيش حالة بين الصراع والسيطرة وما إلى ذلك، وأنّ العلاقة بينها متناظرة بشكل معقول، علاوة على ذلك، فيما يتعلق بمسألة التمايز بينهما، وعلى الرغم من وجود اختلافات كبيرة، فإنّ هناك ميلًا قويًا للعشائر تقليد بعضها بعضًا، وسرقة أجزاء من التاريخ الأسطوري لبعضهم بعضًا ودمجها في ماضيهم – نوع من شعارات النبالة الاحتيالية، حيث تقوم كل عشيرة بنسخ الآخرين حتى يتمكن النظام بأكمله أن يميل إلى تقليص التمايز بينهما **(Gredory B. , 1972, p. 74)**. فكل جماعة تسعى للحفاظ على أنساقها الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، إلاّ أنّ حالة الاتصال الثقافي تسمح باكتساب بعض العناصر الثقافي بالمقدار الذي لا يؤثر في نظامها الكلي. وفي الوقت ذاته إنّ عملية تمسّك الجماعة وتعصبها لعناصر الثقافة، يجعلها تتمتع بسلطة اجتماعية قاهرة، والتي تنشأ عنها شعور عميق بالحدود النفسية والاجتماعية، وتغلق إطار التضامن والعصبية في داخل الجماعة، وتباعد المسافة الاجتماعية بينها وبين الأفراد الذين ينتمون إلى جماعات أخرى؛ لذلك تعتبر الثقافة الشعبية وسيلة فاعلة لإدماج الفرد في مجتمعه. فهي وإن كانت تمارس الضغط على الفرد لكي يتماشى مع أساليب الجماعة التي ينتمي إليها، إلاّ أنّها من ناحية أخرى تكسب الجماعة التجانس اللازم لتحقيق التكافل والتكامل الاجتماعي (عماد، ب؛ت، صفحة ١٧). فيبقى أفراد المجتمع أو الجماعة الواحدة يميلون أكثر إلى سلوكهم الخاص بهم والتعبير عنه على أنه منطقي أو لصالح المجتمع أو

الجماعة أو طبقة اجتماعية وبذا يُحدد إطار كل جماعة وما تمتلكه من رؤوس أموال بكل أنواعها. فلكل جماعة سلطتها الاجتماعية الأساسية، تتمثل في رأس المال الاقتصادي بأشكاله المختلفة، ورأس المال الثقافي، وكذلك رأس المال الرمزي وهو الشكل الذي تكتسبه مختلف أنواع رأس المال للجماعة، إذ يجري إدراكها والاعتراف بها على أنّها مشروعة، وهكذا يتوزّع الفاعلون في الفضاء الاجتماعي الكلي. في البعد الأول طبقًا للحكم الكلي لرأس المال الذي يملكون بمختلف أنواعه، وفي البعد الثاني طبقًا لبنية رأسمالهم، أي طبقًا للوزن النسبي لمختلف أنواع رأس المال الاقتصادي والثقافي في الحكم الكلي لرأسمالهم. إذ إنّ الفضاء الاجتماعي مبني على أن يكون الفاعلون الذين يحتلون مواقع متماثلة أو متقاربة وموضوعين في شروط متماثلة وخاضعين لاشتراطات متماثلة، وأمامهم كل الفرص لتكوين استعدادات ومصالح متماثلة، ومن ثم لإنتاج ممارسات متماثلة، وتتضمن الاستعدادات المُكتسبة في الموقع المحتل تكيفًا مع هذا الموقع أو المكان، وهذا الحسب بالمكان هو من يجعل الناس في أثناء التفاعلات يلتزمون بمكانهم ويجعل الآخرين محافظون على مسافتهم، أو يحترمون منزلتهم، ولما كانت الاستعدادات الإدراكية تميل إلى التكيف مع الموقع، فإنّ الفاعلين، حتى أشدهم حرمانًا، يميلون إلى إدراك العالم على أنّه طبيعي وإلى أن يكون مقبولاً أكثر بكثير مما قد يظن المرء (بورديو، ٢٠٠٢، صفحة ٢٠٥). وأنّ العوامل الاقتصادية والثقافية تتمتع بأكبر قوة للتمايز، وتبقي حقيقة أنّ قوة الاختلافات الاقتصادية والاجتماعية لا تبلغ أبدًا حدًا يجعل المرء عاجزًا عن تنظيم الفاعلين بواسطة مبادئ تقسيم أخرى، عرقية، أو دينية، أو قومية. فالعَالم الاجتماعي يمكن وصفه وبناؤه بطرق مختلفة طبقًا للمبادئ المختلفة للرؤية والتقسيم، التقسيمات الاقتصادية والتقسيمات العرقية، حيث إنّ التعدد العرقي والتعدد الثقافي وتعدد الأجناس في مجتمع ما تظهر ضمن علاقات اجتماعية تفاعلية تتبدى عنها القيمة والمعنى.

فالعالم الاجتماعي يُقدّم نفسه، موضوعيًا، من خلال توزيع الخصائص، على أنّه نسق رمزي منظم طبقًا لمنطق الاختلاف، طبقًا لتنوّع تمايزي، يميل العالم الاجتماعي إلى العمل كفضاء رمزي، كفضاء لأساليب حياة ولمجموعات ذات مكانة، تتميّزُ بأساليب حياة مختلفة. وما أشار إليه بورديو في مخططه عن الفضاء الاجتماعي لقياس مواقع الأفراد أو الجماعات. إذ يرى أنّ فكرة الاختلاف، ذاتها أساس فكرة الفضاء، والتي يعبر عنها في مجموعة المواقع المتميزة والمتعاضدة في ذات الوقت والمحددة بما يرتبط بعضها بعضًا، من خلال المظاهر الخارجية أو السلوك الخارجي المتبادل وعلاقات التقارب، أو الجوار وغيرها، وكذلك عن طريق العلاقات المنظمة، يمكن استنتاج العديد من خصائص أعضاء الطبقة البرجوازية، على سبيل المثال، حيث إنّهم يشغلون موقعًا وسيطًا بين الموقفين المتطرفين أن

يجري تحديدهم بشكل موضوعي. كما أنّه يتم بناء الفضاء الاجتماعي بطريقة يكون فيها التوزيع للمجموعات وعلى وفق تواجدهم ضمن التوزيعات الإحصائية القائم على مبدأي التمايز ـ الاقتصادي والثقافي الأكثر كفاءة ـ مما يترتب عليه أنّ العوامل المشتركة تكون أكثر كلما اقتربت من هذين البعدين. بعبارة أخرى أنّ الفاعلين بقدر ما يكونون أكثر اقترابًا من هذين البعدين "الاقتصادي، الثقافي" بقدر ما يكون بينهم أشياء مشتركة، وكلما كانوا أكثر ابتعادًا قلّ بينهم ما هو مشترك... يتوزع الفاعلون في البعد الأول حسب الحكم الكلي لرأس المال الذي يحوزونه في شتى أنواعه، وفي البعد الثاني حسب بنية رأس مالهم، أي حسب الوزن النسبي لأنواع رأس المال، الاقتصادي والثقافي، داخل الحجم لكل رأس مالهم (بورديو، بيار، ١٩٩٨، صفحة ٢٩).

المبحث الثالث: هيمنة رأس المال الاقتصادي والثقافي للجماعة

يضع بورديو بناء على النوعين المهمين والرئيسين، ألا وهما رأس المال الاقتصادي والثقافي، التي تمتلكها المجموعات الاجتماعية، تصنيفًا بشكل عام ضمن طبقات ثلاث رئيسة، ولكل واحدة من هذه الطبقات ـ لسنا بصدد التفصيل بهذه الطبقات ـ مجموعات فرعية (انغليز و هيوسون، ٢٠١٣، صفحة ٢٥٣)، تحظى كل من هذه الطبقات بدرجة أو درجات مختلفة من رأس المال الثقافي أو الاقتصادي أو كليهما، وهنا قد عمل بورديو على دور الثقافة وعادات كل طبقة تنتج مجموعة معينة من الأذواق [*٢] التي اعتبرها معيارًا أو تعريف الأذواق الثقافية لكل طبقة من الطبقات؛ إذ لكل طبقة من الطبقات لها أذواقها الخاصة بها، وتوجه هذه الأذواق الناتجة اجتماعيًا، والناتجة من التنشئة ضمن العادات، الأفراد نحو أمور معينة تنسجم مع العادات، وتبعدهم من تلك التي لا تنسجم معها.

إنّ كل مجموعة من الأذواق تعتمد على الطبقية في سلسلة تراتبية، حيث تكون أذواق المجموعات المتنفذة هي الأكثر شرعية اجتماعيًا، في حين تكون أذواق المجموعات التابعة هي الأقل شرعية، ويحيل أو يساعد هذا الوضع في إعادة إنتاج نفوذ المجموعات المتنفذة بشكل عام في المجتمع، والمجال الذي يعمل فيه هذا التسلسل الهرمي هو مجال الاستهلاك الثقافي. وضمن هذا المجال يتنافس اللاعبون من الطبقات كلها في "اللعبة" في محاولة لجعل الأذواق الخاصة بهم وتفضيلاتهم الأكثر تمايزًا، وذات الشرعية اجتماعيًا (انغليز و هيوسون، ٢٠١٣، صفحة ٢٥٥).

[٢]*ـ الأذواق، مجمل ممارسات وممتلكات شخص ما أو مجموعة ما هي نتاج التقاء (تناسق سابق) بين السلع وذوق ما. يراجع: (بورديو، بيير، ١٩٩٥، صفحة ١٨٤).

إنّ الأذواق حسب بورديو تارة تكون بوجود ممتلكات (أموال) مصنفة، ذات ذوق "حسن" أو ذات ذوق "سيء"، "متميز" أو سوقية(مبتذلة)، مُصنِّفة ومُصنَّفة دفعة واحدة، مُنظَّمة تراتبيًا، ومنظِّمة تراتبيًا(بالفتح مرة وبالكسر آخر)، كما ينبغي أن يوجد أناس مزودون بمبادئ التصنيف، بأذواق تسمح لهم بأن يميزوا وسط الممتلكات تلك التي تلائمهم، تلك التي على ذوقهم. – وتارة أخرى تكون موجودة أو كما يقول بورديو– ومن المستطاع في الواقع أن يوجد ذوق دون ممتلكات (أموال)، (ذوق مأخوذ بمعنى مبدأ التصنيف، مبدأ التقسيم، القدرة على التمييز) وأن توجد ممتلكات دون وجود ذوق" (بورديو، بيار، ١٩٩٥، صفحة ١٨٣).

لذا فقد تتنوع الممارسات الثقافية وعلى وفق الفروق الفردية بين الأفراد، مما يسهل حدوث مرونة في أثناء القيام بالممارسة ذاتها. كما أنّ الممارسة لا تنحصر في نشاط بعينه، فقد تكون حرفية أو فنية أو رياضية أو غير ذلك (فريد، ٢٠٠٩، صفحة ٢٥٣). فالممارسة ليست مجرد فعل يُصدره الممارسون في الزمن الحاضر فحسب، وإنما هو صادر أو موجه من ماضي الأفراد أو الجماعات، "فكما لا بد من أن تتضافر عدة ظروف قبل هطول المطر، فكذلك الممارسة هي محصلة خبرات مكتسبة أو موروثة، تتضافر لتقييم الواقع المعيش، وتحديد طبيعة الفعل الملائم في لحظة ما، لحظة الممارسة أو هطول المطر، فالممارسة نشاط إنساني، يقوم به فاعل يمتلك قدرة على صنع الاختلاف، ولكنه ليست قدرة ذات متعالية، وإنما قدرة فاعل نشط مكافح؛ لذلك فإن الفاعل هو شخص محمّل بخبرات متراكمة، رأسمال نوعي، يكتسبه خلال عملية التنشئة والتعليم، يولّد لديه مجموعة من الاستعدادات تمكنه من ممارسة الأفعال المختلفة في إطار بنية موحدة وبشكل تلقائي ولا إرادي في معظم الأحيان" (بدوي، ٢٠٠٩، صفحة ١٢). أي أنّ بورديو يرى التمايز الاجتماعي يتحقق حين يكون هناك نزاع حول المال ورأس المال الثقافي، أو من أجل الوجاهة والسطلة. أو بعبارة أخرى أنّ طبيعة الحياة وأسلوبها يرتكز على مجموعة الأذواق والمعتقدات والممارسات الممنهجة المميزة للطبقات، أو لطبقة بذاتها، كالمعتقدات والفنون والجماليات والمواقف السياسية والغذاء واللباس وغيرها، مما يسمح لوصفها بأنماط أو أسلوب الحياة، مأخوذًا بنظر الممارسات ببعدها النوعي.

يجعل رأس المال الثقافي والاقتصادي الأفراد متمايزين على أساس العوامل والهيمنة والأذواق الثقافية والطرق التي يسلكونها لقضاء أوقات الفراغ، وقد حفّز هذا المؤسسات التجارية المتزايدة لتلبية الاحتياجات والسلع والخدمات، وقد أسهمت كذلك في تنامي النزعة الاستهلاكية، وشجعت في الوقت ذاته زيادة تنوع المؤسسات والتخصصات التي تقوم بتقديم الخدمات والسلع المرتبطة بأسلوب الحياة، كالأنشطة الإعلامية والتسويقية والترويجية، وتصميم الأزياء، وتقديم المشورات وغيرها من الأنشطة التي تعمل على تحسين وتعديل

الذوق العام في أساليب الحياة الحديثة أو المعاصرة، و"أنّ هذه الحوافز كلها تتضافر مع النزعة الاستهلاكية العارمة في المجتمعات الغربية الحديثة وتؤدي إلى مزيد من التمايز بين أساليب وأنماط الذوق المرتبطة بالوضع الطبقي في المجتمع" (غدنز، ٢٠٠٥، صفحة ٣٥٩)

تعمل الثقافة السائدة على التكتل الفعلي لأفراد الجماعة السائدة (لكونها تضمن التواصل المباشر بين جميع أعضائها، وتميزهم عما عداهم)، وهي تساهم بهذا في خلق التكتل الوهمي لأفراد المجتمع في مجموعة وشكل (الوعي الخاطئ) الطبقات المسودة، وبالإضافة إلى ذلك، فهي تعمل على تبرير النظام القائم وذلك بإقرار الفروق وإقامة المراتب وتسويغها . وعليه فإنّها تنتج مفعولها الإيديولوجي بتغليف وظيفة التقسيم وإخفائها تحت قناع وظيفة التواصل. فالثقافة الموحدة (وسيلة التواصل) هي ذاتها الثقافة الفاصلة المقسمة (أداة التمايز) التي تسوغ الفوارق بإرغامها مختلف الثقافات (التي تعتبر ثقافات دنيا) أن تتحدد بمدى ابتعادها عن الثقافة السائدة (بورديو، بيير، ٢٠٠٧، صفحة ٥٠). ومع اختلاف الثقافات ولاسيما مع الجماعات المختلفة التي قد تشترك في ثقافة سائدة، لكن مع عمليات التثاقف أو الاتصال الثقافي الذي يراه باتيسون ليس ضرورة فحسب في المجموعات المختلفة، وما ينتج عنها من اضطرابات في ثقافة إحدى المجموعتين، وإنّما تشمل الجماعات داخل المجتمع الواحد نفسه، فالاضطرابات الشديدة الناتجة عن الاتصالات بين مجتمعات مختلفة، تؤدي إلى تغييرات في أحد الأنماط التالية (**Gredory B. , 1972, p. 66**):

(١) الاندماج الكامل للمجموعات المختلفة أصلاً.

(٢) القضاء على إحدى المجموعتين أو كلتاهما.

(٣) استمرار كلا المجموعتين في توازن ديناميكي داخل مجتمع رئيسي واحد. وهذا ما جعله يبحث عن العوامل أو الظروف التي تحيط بالأفراد ممن لديهم أنماطًا سلوكية متجانسة ومتسقة. بخلاف بعض المجتمعات التي تفتقر إلى هذا التجانس والتناسق كما هو الحال في كثير من المجتمعات غير التقليدية، أو المجتمعات الحديثة.

فرأس المال الثقافي لا يُكتسب، ولا يورث، دون جهود شخصية، إنّه يتطلب من طرف الفاعل عملاً طويلاً مستمرًا ومعززًا للتعلم والتثقف بهدف أن يندمج فيه، ويجعله ملكًا له، أن يجعله ذاته، بما أنّه يحوّل الوجود الاجتماعي للفاعل. وقد وضع باتيسون خمسة جوانب لعملية الاتحاد والتكامل بين أفراد المجموعة، وهي **(Gredory B. , 1972, pp. 66-67)**

(١) إنّ سلوك أي فرد في سياق واحد، بمعنى ما يتفق معرفيًا مع سلوك جميع الأفراد في جميع السياقات الأخرى. أي أنّ المنطق الكامن في ثقافة ما، يختلف إلى حدٍّ بعيد عن منطق الثقافة الأخرى. من وجهة النظر هذه سنرى، على سبيل المثال، أنه عندما يعطي

الفرد (أ) مشروبًا للفرد (ب)، فإن هذا السلوك يتوافق مع معايير السلوك الأخرى التي يتم الحصول عليها داخل المجموعة التي ينتمي إليها (أ) و (ب). يمكن إعادة صياغة هذا الجانب لتجسيد أنماط السلوك من حيث توحيد الجوانب المعرفية لشخصيات الأفراد. قد نقول إنّ أنماط تفكير الأفراد موحدة لدرجة أن سلوكهم يبدو لهم منطقيًا.

(٢) الجوانب العاطفية للوحدة، إذ إنّ التجسيد الكامل للسلوك كآلية منسقة موجهة نحو الرضا العاطفي وعدم الرضا للأفراد. أيّ هناك توحيد للجوانب العاطفية لشخصيات أفراد الجماعة، والتي يتم تعديلها من خلال ثقافتهم إذ يكون سلوكهم متسقًا عاطفيًا بالنسبة لهم.

(٣) الوحدة أو الجانب الاقتصادي، هنا سنرى التجسيد الكامل للسلوك كآلية موجهة نحو إنتاج وتوزيع الأشياء المادية.

(٤) الوحدة أو الجانب الزمني والمكاني، بأن أنماط السلوك مرتبة بشكل تخطيطي وفقًا للزمان والمكان. سنرى (أ) يعطي المشروب إلى (ب) لأنّه مساء السبت.

(٥) الوحدة الاجتماعية، فإنّ سلوك الأفراد موجه نحو اندماج وتفكك الوحدة الرئيسية، المجموعة ككل. فإنّ إعطاء المشروبات كعامل يعزز تضامن المجموعة.

وقد استعمل باتيسون مفهومين تتألف منهما الثقافة، وهما روح الشخصية(Eidos) ويعني بها "التقنين الثقافي للجوانب الإدراكية لشخصية الأفراد"(إيكه هولتكرانس، ١٩٧٣، ص٢٢١). التي تشكلّها أو تبنيها مجموعة القيم والمعايير الثقافية التي يتسم بها روح المجتمع. والمفهوم الآخر هو (Ethos) وعنى بها "نسق الاتجاهات العاطفية الذي يحكم نوع القيمة التي يضفيها المجتمع المحلى على الصور المختلفة للإشباع وعدم الإشباع التي يمكن أن تعرض في مجرى سياق الحياة" (هولنكرانس، ١٩٧٣، صفحة ٢٢١). فروح المجتمع تشير إلى "العادات والتقاليد، وكذلك المشاعر، والعواطف الجمعية المميزة لثقافة أو حدث معين قد تمّ تعريفه وفقًا للمعايير الثقافية" (برنارد، ٢٠١٧، صفحة ٢٦٧). فالاعتراف أو الاعتقاد بقوة أو بسلطة من يملك مزايا أكثر، أو شكلاً من الاعتراف بالشرعية، يدخل في مختلف الحقول وفي مختلف أشكال السلطة أو الهيمنة، أو في أشكال العلاقات؛ لأنّ رأسمال الثقافي هو موجود تحوَّلَ كائنًا، ملكية ملتصقة به، فأصبحت جزءًا مُدمجاً "للشخص"، هابيتوس... فهو في ارتباط متبادل بدقة مع الرأسمال الاقتصادي" (شوفاليه و شوفير، ٢٠١٣، صفحة ١٦٣).

فالهابيتوس[٣] أو مبدأ الهابيتوس أحد أهمّ المفهومات التي عمل بورديو على تأسيسها، إذ العمل الذي يقوم الفاعلون به في الفضاء أو الوجود الاجتماعي القائم أو المتمحور حول هذا المفهوم أو المبدأ "الهابيتوس" فهناك دوافع اجتماعية، وهناك أفراد أو جماعات فاعلون؛ لذا يرى أنّ تمثيلات الفاعلين تتنوع بتنوع موقعهم في الفضاء الاجتماعي والمصلحة المرتبط به، وبتنوع هابيتوسهم، بوصفه نسقًا من نماذج الإدراك والتقييم، بوصفه بنيات إدراكية وتقييمية تتحقق من خلال الخبرة المستمرة لموقع اجتماعي. فالهابيتوس هو في آن واحد نسق من نماذج إنتاج الممارسات ونسق من نماذج إدراك وتقييم الممارسات.

في كلتا الحالتين، تعبّر عملياته عن الموقع الاجتماعي الذي تم بناؤه فيه؛ فينتج عن ذلك ممارسات وتمثيلات متاحة للتصنيف متمايزة موضوعيًا، لكنّها لا تُدرك مباشرة على أنّها كذلك، إلاّ في حالة الفاعلين الذين يملكون الشفرة، النماذج التصنيفية الضرورية لفهم معناها الاجتماعي... فالفاعلون يُصنّفون أنفسهم، يعرضون أنفسهم للتصنيف باختيارهم، على وفقً أذواقهم، لصفات مميزة مختلفة، لثياب، وأنواع طعام، ومشروبات ورياضات وأصدقاء تتمشّى معًا ويجدونها كذلك مقبولة، أو بدقة أكبر، يجدونها مناسبة لموقعهم، إنّهم يصنّفون أنفسهم باختيارهم، في فضاء السلع والخدمات المتاحة، سلعًا تحتل في هذا الفضاء، موقعًا مناظرًا للموقع الذي يحتلّونه في الفضاء الاجتماعي. وهذا يعني أنْ لا شيء يُصنِّف شخصًا أكثر من الطريقة التي يُصنِّف هو بها. إذ يعد بورديو إعادة إنتاج البنية بعيدًا عن كونه نتاج سيرورة آلية، فإنّه لا يتحقق بغير تعاون الفاعلين الذين دمجوا منه الضرورة بشكل سيماء، والذين هم أيضًا منتجون، يعيدون الإنتاج سواء أكانوا واعين ذلك أم لم يكونوا (بورديو، بيار، ١٩٩٨، صفحة ٢٠٢).

[٣]ـ إنّ مصطلح "الهابيتوس" أحد أبرز المصطلحات التي استعملها بورديو، إلاّ أنّه لم يكن هو أول من استعمل هذا الاصطلاح بل قد استعمله كثيرون غيره في تخصصات مختلفة، كهيجل في فلسفته وهوسرل، وفيبر ودوركايم وموس، حيث استعملوه جميعًا بطريقة منهجية أو بأخرى، لكن كما يقول بورديو: "بدا لي أنّ من استخدموا المقولة، في كل تلك الحالات، قد فعلوا ذلك وفي ذهنهم نفس القصد النظري، أو على الأقل كانوا يشيرون إلى نفس الخط من البحث ـ سواء مثلما عند هيجل (الذي يستخدم أيضًا بنفس الوظيفة، مقولات من قبيل التعودhexis ، والروح العام ethos، وما إلى ذلك)، (بورديو، ٢٠٠٢، صفحة ٣٢)
وقد استعمل عالم الاجتماع الألماني نوربرت إلياس الهابيتوس على أنّه المعرفة المجتمعية المخزّنة عند الفرد أو الأفراد بشكل غير واع، بحيث تتجذر مع مرور الوقت بفعل الأسرة أو المؤسسة أو الحزب أو الدولة، حتى تدّل على الهوية للفرد، وكذلك الحال لهوية الجماعة. وهذا يشير إلى التنشئة الثقافية أو التنشئة الاجتماعية أو التطبع أو الاندماج الاجتماعي، فيتشرّب الفرد أو الأفراد مجموعة المعايير والقيم والعادات التي يكتسبها من المجتمع، بفعل الاحتكاك والتطبع والتماثل مع البنية الاجتماعية. وأنّ الهابيتوس يتميز بالحركة والاستمرار والتحول والتطور التاريخي، والانتقال من جيل إلى جيل آخر، ينظر: (**Florence, 2010, pp. 33-34**).

المبحث الرابع: نمطا إعادة الإنتاج والتحويل

يضع بورديو نمطين، أحدهما استراتيجية إعادة الإنتاج، والأخرى إعادة التحويل، والغاية من الأولى العمل للحفاظ على الوضع الاجتماعي أو تحسينه، وذلك بالاعتماد على رأس المال وحجمه، كقوانين الإرث وسوق العمل، والنظم التعليمية وغيرها، التي ترتبط بعلاقات القوة والضعف بين الطبقات، أمّا النمط الآخر، فهو المسؤول عن الحراك داخل الفضاء الاجتماعي، فتارة يكون أفقيًا وأخرى يكون من الأعلى إلى أسفل اعتمادًا على حجم رأس المال، كما في رأس المال الاقتصادي حين تحويله إلى رأس مال تعليمي، وهذا ما يتيح لبعض الطبقات كالأعمال التجارية للاحتفاظ بمكانتها وثروتها بطرق مشروعة **(Harker, Mahar, & Wilkes, 1990, pp. 18-19)**

إنّ ممارسات الفاعلين عند بورديو لا توجهها القواعد المحددة والمفروضة عليهم، وإنما تكون ضمن خطط واستراتيجيات. أي أن الممارسات لا تتم بطريقة واعية، كما لا يعنى أن توجيه الممارسات هو توجيه محسوب أو يتم بشكل آلي؛ لأنّها نتاج بديهي لمعرفة قواعد اللعبة **(Harker, Mahar, & Wilkes, 1990, pp. 18-19)** وهذا لا يعني أنّ غياب الدافع والاعتباطية في الأفعال توحي إلى الحريّة، أو أنّ الأفعال التي يقوم بها الفاعلون حرّة، أي أنّ فعل الفاعلين يرتكز إلى سبب، وهذا ما "ينبغي اكتشافه، وهو يساعد في فهم وتحول سلسلة السلوكيات التي تبدو غير متماسكة واعتباطية إلى سلسلة متماسكة، وإلى شيء يمكن فهمه (بورديو، بيار، ١٩٩٨، صفحة ١٩٤). وهو يحيل إلى فهم عملية التنافس الاجتماعي القائمة على رأس المال النوعي (بكل أشكاله) أو كل الملكيات التي يستعملها أفراد المجتمع أو الجماعة في ممارساتهم "التي تتيح بناء المدى الاجتماعي أو مدى الظروف الاجتماعية... التي تقوم على الممارسات الاجتماعية انطلاقًا من الأوضاع الاجتماعية، ومن الهابيتوس" (أنصار، ١٩٩٢، صفحة ٩٧) .

فمبدأ الهابيتوس هو أسلوب حياة طبقة اجتماعية معينة، وامتلاك "عادات" معينة (مثل عادة الطبقة العاملة) يزوّد المرء بمقدار معين من رأس المال الثقافي" (انغليز و هيوسون، ٢٠١٣، صفحة ٢٥١). والفاعلون حين يتابعون تصوراتهم وتوقعاتهم وكذلك رغباتهم لغرض المشاركة في إعادة إنتاج مواقعهم في الفضاء الاجتماعي، فإنّه يسعى لأن تكون لديه استعدادات يسعى من خلالها تأييد هويته، التي هي الاختلاف، مع الحفاظ على فوارق ومسافات وإسناد النظام، ثم بالمساهمة بهذه الطريقة الكيفية عمليًا في إعادة إنتاج كل نسق الاختلافات المشيّدة للنظام الاجتماع **(Bourdieu, 1994, p. 3)**، الذي ينتمي لهذا الفضاء. ومن هنا يشتغل بورديو على التموضع والتمفصل، بين شروط الوجود والمواقع داخل بنية شروط الوجود، وبين أخذ المواقع داخل بنية أساليب العيش، أو بين الطبقات

الاجتماعية وأنظمة التصنيفات "المصنِّفون، المصنَّفون بواسطة تصنيفهم، فالذوات الاجتماعية تتميز بالتمييزات التي تحدثها... حيث تعّبر عن مواقعهم عن نفسها" (شوفاليه و شوفير، ٢٠١٣، صفحة ١٠٣).

من جانب آخر يُعدّ الهابيتوس – التطبع/الملكة – منتج الممارسات وأصل الإدراكات وعمليات التقويم أو مجموعة القواعد المولد للممارسات، أمّا موقعه فهو يتوسط العلاقات الموضوعية والسلوكيات الفردية، وهو في آن معًا ناتج عن استبطان الشروط الموضوعية مثلما هو الشرط اللازم للممارسات الفردية؛ وكذلك يضفي الشرعية على الصراعات الطبقية والتمايز دون حدوث أي صدام ظاهري بين الطبقات. "فكل أفراد المجتمع لا يقومون باجتراح المميزات نفسها، ولا يمنحون نفس المعنى إلى الأنساق الرمزية المشتركة: فالهابيتوس بصيغة الجمع، يشغّل مبادئ التمايزات المختلفة أو يستعمل، بشكل مغاير، مبادئ التمايزات المشتركة، إنّه يجعل اختلافات بين ما هو حسن وما هو سيء، وبين ما هو خيّر وما هو شرير، وبين ما هو متميز وما هو مبتذل، إلخ، ولكنها ليست متشابهة. وعلى هذا النحو، مثلاً فإنّ نفس السلوك قد يبدو متميزًا بالنسبة إلى شخص، ومتكلفًا بالنسبة إلى الثاني بينما يراه الثالث مبتذلاً" (شوفاليه و شوفير، ٢٠١٣، صفحة ١٠٨). وفي الوقت نفسه لا يعمل الهابيتوس على توجهات الأفراد وتصوراتهم وملكاتهم الشخصية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الاستعدادات الجمعية، كأنماط التفكير والإدراك والتقدير والممارسة؛ لذلك يؤثر الهابيتوس في الأفعال اليومية، مثل التذوق، والملابس، والأثاث، والفن، وعادات الاستهلاك، وأوقات الفراغ... ومن هنا، فهو نتاج ظروفه الموضوعية ذاتها (عبد العظيم، ٢٠١١، صفحة ٦٢).

فيمثل الهابيتوس عملية إدماج إبداعي يتجاوز المماثلة على الاستيعاب ومواجهة وضعيات جديدة، كما أنّه بمثابة بنيات خاضعة لعامل التكيف والتأقلم مع العالم المجتمع الموضوعي، وفي الوقت نفسه هو بمثابة أفعال محركة لبنية المجتمع أو بمنزلة ممارسات جديدة تهدف إلى حل مشكلات الواقع الموضوعي، وتجاوز حتميته الجبرية، فهو يتضمن التطبع بالمجتمع من جهة، والتحكم فيه بالفعل الفردي الإبداعي من جهة (حمداوي، ٢٠١٥، صفحة ٩). وأنّ الهابيتوس ليس فقط تنظيمًا للبناء، الذي ينظم الممارسات وإدراك الممارسات، ولكنه أيضًا بنية منظمة: مبدأ التقسيم إلى طبقات منطقية تنظم تصور العالم الاجتماعي، هو في حدّ ذاته نتاج استيعاب التقسيم إلى طبقات اجتماعية، يتم تعريف كل شرط فئة في وقت واحد من خلال خصائصه الجوهرية والخصائص العلائقية التي يستمدها من موقعه في نظام الشروط الطبقية، وهو أيضًا نظام من الاختلافات والمواقف المتمايزة **(Bourdieu, Pierre, 1996, pp. 170-172)**. أي أنّه هو ما يتمثل في الصفات والطبائع التي تجعل الأفراد يسلكون ويتصرفون على وفق طرائق معينة تتبلور بواسطة

العيش ضمن النظم الاجتماعية للمجتمع. بوصفه يمثّل المتراكم من المواقف وما يكتسبه الأفراد من عاداتهم وقيمهم وتقاليدهم وأعرافهم وجميع الخبرات والتجارب والمعايير التي تختزلها التنشئة الثقافية سواء بطريقة شعورية أم غير شعورية؛ لأنّها تسمح لهم بالاندماج في المجتمع بمختلف وضعياته المعقدة وغيرها.

إنّ أفراد المجتمع الذين يتصارعون ضمن حقول وفضاءات مجتمعية مختلفة، حول مواقع السيطرة والحظوة، والتميز الاجتماعي والطبقي، وذلك بتأثير المتراكم للرأس مال النوعي الذي يمتلكه الأفراد ولاسيما رأس المال الثقافي والاقتصادي. ومن هنا تظهر الاختلافات وإن كانت في بداياتها ذات شكل ضعيف لها القدرة على التحول إلى اختلافات جذرية، تضفي إلى الطبقيّة. ويشير بورديو إلى الصراع بين الأفراد داخل بنية المجتمع من أجل الاختلاف والتميز. أي أنّ الفرد حين يريد أن يكون معروفا في حقل مجتمعي ما، فلابد أن يتميز عن الآخرين إما بالاختلاف عنهم، وإما بالانزياح عنهم ثقافيا واقتصاديا ولغويا واجتماعيا، وهنا تبتنى الثنائية، وهي إمّا الاختلاف والتمييز، أو التوافق معهم، ولعلّ الاهتمام بالموضة الهستيري، دليل على الرغبة في التميز ثقافيا واجتماعيا ورمزيا، ودليل على فرادة الأسلوب الشخصي (حمداوي، ٢٠١٥، صفحة ٧).

الخلاصة

إنّ الشكل الاجتماعي قائم على مجموعة عوالم صغيرة (مجموعة مجالات)، وأنّ لكل مجال ميزه أو مصالحه الخاصّة، إلاّ أنّ هذه الخصوصية وإن عنت عدم التداخل أو الاستقلالية النسبية، التي تشير كذلك إلى حالة التمايز في الوقت نفسه عن غيرها من المجالات، وكذلك تعمل جعل أفراد كل جماعة يُوجدون مواقع، وهذه المواقع تتصل ببعضها متشابكة، وفي الوقت ذاته متمايزة، وهذه المواقع ترسم للأفراد حدودًا تتيح لهم معرفة علمية وجسدية بالمكانة التي يحتلها سواء أكانت فعلية أم مستقبلية، مما يجعلهم قادرين على التحكم بخبراتهم ومن ثم الحفاظ على الرتبة وجعلها أكثر اعتبارًا للغير. ويسمح لهم كذلك بإنتاج طرق متعددة لمعرفة العالم الاجتماعي الذي ينتمون إليه، أو الذي يتواجدون فيه كفضاء اجتماعي، فتختلف باختلاف نوع أو خصوصية المجال المحكوم بمنظومة إدراكية وفكرية.

كما أنّ المنظومات الإدراكية والفكرية تخضع لعمليات التوليد التي تنشئها البنيات الموضوعية وإن كانت خارجة عن وعي ورغبات الأفراد، إلاّ أنّها تعمل على توسيع دائرة القيود لديهم، ولاسيما لممارساتهم، فيكون بذلك سلوكهم موجهًا وليس اعتباطيًا، إذ البنية الذهنية لهم المتأثرة بالمرجعيات الاجتماعية والثقافية أو التنشئة الثقافية، فضلاً عن التجربة الفردية، وعليه فإنّ وعي وخارج وعي الأفراد، عاملان مؤثران في الوجود الاجتماعي، وهذا

الأخير عبارة عن تلك المنظومة المتكوّنة من العلاقات غير المرئية، وأنّ الممارسات هي تلك الانعكاسات لتلك المنظومة غير المرئية.

باعتبار أنّ الثقافة هي الجامعة للعملية التشاركية بين أفراد الجماعة أو حتى المجتمع كله، إذ تثير حسًّا يدفع نحو عمليات التضامن والتماثل، وتحثّهم في الوقت نفسه على إبعاد المختلف أو المغاير لهم، فكل منهما يعمل على المحافظة على الأنساق كلها اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية، وإن كانت لا تعني المحافظة بعدم وجود مسامات تسمح خروج أو دخول بعض العناصر الثقافية ذات التأثير الضعيف على المنظومة الثقافية، وهذا ما يجعل الجماعات الفرعية أكثر تمسكًا بمنظومة الثقافية، حتى وإن كانت في ظاهرة هي قوة قاهرة تقيد الأفراد في أثناء فرض أساليب الجماعة من أجل البقاء والمحافظة على ديمومها، وهنا تؤدي السلطة الاجتماعية دورها في إبقاء الأفراد في إطارها المتكوّن رأس المال النوعي (الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وغيرها)، تعمل على إنتاج ممارسات متماثلة وتتضمن كذلك الاستعدادات التي يكتسبها الأفراد في هذا الموقع أو ذاك في إطار علاقات منظمة، مما يجعلهم محافظون على المسافات التي تفصلهم عن غيرهم، وتفرض عليهم نمطًا معيًا من الممارسات، وهذه الأخيرة ليست وليدة اللحظة وإنّما هي وليدة مجموعة ظروف وخبرات مكتسبة وموروثة، تجعل من الفعل مقبولاً في اللحظة، ويعمل أو يحافظ على وظيفة التواصل، وهذه الوظيفة تعمل على خطي التقارب أو التماثل، وفي الوقت نفسه الاختلاف والتمايز، وأنّ هذه الممارسات بطبيعة الحال لا تكون بشكل واعٍ وكأنّها اعتباطية، حتى يتكون لديهم أسلوب الحياة، أو الهابيتوس.

إنّ الأفراد يسعون لتأييد هويتهم التي تتمثل بالمحافظة على كل ما يجعل الجماعة أو المجتمع له هابيتوسه، وهذا الأخير يعمل كذلك على تمييزهم أو إظهار حالة الاختلاف ضمن المواقع داخل شروط الوجود الاجتماعي. فالهابيتوس هو أسلوب الحياة، بعد تحوّله إلى ملكة أو تطبع، لأنّه يسمح بإنتاج الممارسة والعمليات الإدراكية، والقبول والرفض والتقويم لأي سلوك فردي أو جماعي، كما يقول بورديو إنّ الهابيتوس "يضفي الشرعية على الصراعات الطبقية والتمايز دون حدوث أي صدام ظاهري بين الطبقات، فكل أفراد المجتمع لا يقومون باجتراح التمايزات نفسها ، ولا يمنحون المعنى نفسه إلى الأنساق الرمزية المشتركة؛ لأنّ الهابيتوس/التطبع لا يعمل على التوجهات فحسب، وإنّما يؤثر كذلك في أنماط التفكير والإدراك والممارسة، لوجود الرأس المال النوعي المملوك من قبل الأفراد أنفسهم، وهذا ما يجعل التمايز يتمظهر بأشكال مختلفة بين الجماعات، وأخرى بين الأفراد أنفسهم كما هو الحال في الحقل أو المجال الواحد، والتي تضفي عادة إلى إمّا إلى العزلة والانضواء ومن ثم الانزياح، أو الاندماج والتوافق مع أفراد المجموعة نفسها.

مراجع البحث ومصادره

1. Bourdieu, Pierre. (1994). *Strategies de reproduction et modes de domination.* Actes de la recherché en sciences sociales, Actes de la recherché en sciences sociales, annee, volume 105, numero1.
2. Bourdieu, Pierre. (1993). *SOCIOLOGY IN QUESTION, translated by Richard Nice, First published in English, .* SAGE Publications.
3. Bourdieu, Pierre. (1996). *Distinction A social Critique of the Judgement of Taste.* Cambridge: Harvard University Press.
4. Florence , Delmotte. (2010). *Termes clés de la sociologie de Norbert Elias.* Presses de Sciences Po, Vingtième Siècle. Revue d'histoire, N106.
5. Gredory , Bateson. (1972). *Steps to an ecology of mind, collected essays in anthropology, psychiatry, evolution, and epistemology.* Northvale, New Jersey London.
6. Gredory , Gredory Bateson, M. A. (1936). *Naven, A Survey of the Problems suggested by a Composite Picture of the Culture of a New Guinea Tribe drawn from Three Points of View.* Cambridge at the university press.
7. Harker, H; Mahar, C; Wilkes, C;. (1990). *AN INTRODUCTION TO THE WORK OF PIERRE BOURDIEU.* London: Macmillan.

٨. أبو العزم، عبد الغني. (ب،ت). معجم الزاهر،. نسخة إلكترونية.

٩. البعلبكي، أحمد؛ وآخرون. (٢٠١٤). جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الأمة في الوطن العربي. الطبعة الأولى. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

١٠. الصالح، مصلح. (١٩٩٩). الشامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية. الطبعة الأولى. الرياض: دار عالم الكتب.

١١. الفيروز آبادي، مجد الدين. (٢٠٠٨). القاموس المحيط . القاهرة: دار الحديث.

١٢. أنصار، بيار. (١٩٩٢). العلوم الاجتماعية المعاصرة. الطبعة الأولى. ترجمة: مخلة فريفر. بيروت: المركز الثقافي العربي.

١٣. انغليز ، ديفيد؛ هيوسون، جون. (٢٠١٣). مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة. الطبعة الأولى. ترجمة: لما نصير. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

١٤. بدوي، أحمد موسى. (٢٠٠٩). ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو. مجلة إضافات، العدد الثامن.

١٥. برنارد، آلان. (٢٠١٧). التاريخ والنظرية في الأنثروبولوجيا. ترجمة سيد فارس. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

١٦. بورديو، بيار. (١٩٩٥). أسئلة علم الاجتماع، حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي. الطبعة الأولى. ترجمة: إبراهيم فتحي. القاهرة: دار العالم الثالث.

١٧. بورديو، بيار. (١٩٩٨). أسباب عملية، إعادة النظر بالفلسفة. الطبعة الأولى. ترجمة: أنور مغيث. بيروت: دار الأزمنة الحديثة.

١٨. بورديو، بيار. (٢٠٠٢). بعبارة أخرى، محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية. الطبعة الأولى. ترجمة: أحمد إحسان. القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.

١٩.بورديو، بيير. (١٩٩٥). أسئلة علم الاجتماع، حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي. الطبعة الأولى. ترجمة: إبراهيم فتحي. القاهرة: دار العالم الثالث.

٢٠.بورديو، بيير. (٢٠٠٧). السلطة والرمز . الطبعة الثالثة. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي. المغرب: دار توبقال للنشر.

٢١.حرب، علي. (٢٠٠١). أصنام النظرية وأطياف الحرية، نقد بورديو وتشومسكي. الطبعة الأولى. بيروت: سياسة الفكر، المركز الثقافي العربي.

٢٢.حمداوي، جميل. (٢٠١٥). المفاهيم السوسيولوجية عند بيير بورديو.

٢٣.رضا، أحمد. (١٩٥٨). معجم متن اللغة. بيروت: دار مكتبة الحياة.

٢٤.زكريا، أحمد بن فارس. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة، الجزء الثاني. دار الفكر.

٢٥.سبيلا، محمد؛ الهرموزي، نوح؛. (٢٠١٧). موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة. الطبعة الأولى. المركز العالمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية.

٢٦.شوفاليه، ستيفان؛ شوفير، كرستيان؛. (٢٠١٣). معجم بيار بورديون. الطبعة الأولى. ترجمة: الزهرة إبراهيم. دمشق: ليان للدراسات والنشر والتوزيع.

٢٧.عاطف، غيث محمد. (٢٠٠٦). قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية.

٢٨.عبد العظيم، حسني إبراهيم. (٢٠١١). الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو، مجلة إضافات. مجلة إضافات، العدد الخامس عشر.

٢٩.عماد، عبد الغني. (ب؛ت). بحث العادات والأعراف والتقاليد والتراث الشعبي. نسخة إلكترونية.

٣٠.غدنز، أنتوني. (٢٠٠٥). علم الاجتماع. الطبعة الأولى. ترجمة: فايز الصباغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

٣١.فريد، سماح أحمد. (٢٠٠٩). التقاليد المبتدعة وإعادة التشكيل: رؤية لقضايا الثبات والتغير وإعادة الإنتاج. مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٧، العدد٣.

٣٢.محمد، أحمد. (٢٠١٣). أسس علم النفس الاجتماعي. الطبعة الأولى. دار زهران.

٣٣.هولنكرانس، أيكه. (١٩٧٣). قاموس مصطلحات الإتنولوجيا والفلكلور. الطبعة الثانية. ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي. مكتبة دار المعارف.